

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في البصرة من
خلال كتب الرحالة في القرن السادس عشر

Social and Economic Conditions in Basra
via Travelers' Books in the 16th Century

أ.د. حسين علي عبيد المصطفى أ.م.د. رافد عبد الرضا

عيلان

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

By

Professor Hussain Ali U. Al-Mustapha, Ph.D.

Dr. Rafed A.R. Eilan, Assistant Professor

Department of History, College of Education for Human

Sciences, University of Basra

ملخصُ البحث

يهدف البحث إلى معرفة الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة في البصرة في القرن السادس عشر من خلال كتب الرحّالة، التي كانت قليلةً جدّاً؛ نظراً إلى أنّنا لم نحصل من الرحّالة الرواد إلى العراق والبصرة، إلا على قليلٍ من المعلومات في هذا الجانب، وقد وَقَعوا في أخطاء في الجانب الاجتماعيّ من ناحية التسميات، والنظر إلى عادات وتقاليد النّاس -آنذاك- وقد بيّنا بعض الجوانب الاقتصاديّة من ناحية العملة والأوزان، وموقع الميناء في البصرة، ونوعيّة الزراعة، وتصدير المنتجات الزراعيّة، والنشاط الملاحّي في البصرة.

Abstract

This research paper sheds light on the social and economic conditions in Basra during the 16th Century. The findings are based on the books written by travelers who have visited the area despite the fact that these books are scarce. In fact, only limited information is generated from pioneering travelers of Iraq, and Basra in particular. Besides, those travelers have committed mistakes in the nominations used and in depicting people's traditions and customs at that time. The economic aspects in this paper include information on currency and weights, the location of Basra Port, type of agriculture, export of agricultural products, and the navigational activities in Basra.

مقدمة

تُعَدُّ كتب الرِّحَالَة من المصادر المهمَّة للدراسات التاريخية والبحوث عن المدن؛ لما تقدمه من معلومات ورؤى لأولئك الرِّحَالَة - كونهم شهود عيان -، قد لا نجدُها في المصادر التاريخية الأخرى، وعلى الأخصَّ في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لتلك المدن، ويصحُّ القول إنَّ ما دوَّنه الرِّحَالَة والسُّيَّاح عن الأحوال العامَّة للبلدان التي مروا بها يُعدُّ ثروة تاريخية وأدبية مهمَّة.

و«تعمَّق أهمية نصوص الرِّحَالَة عند توظيفها في مجال الكتابة التاريخية بوصفها مادةً أولية، فهي من جهةٍ تكتسب صفة المعاصرة المحكومة بعنصري الزمان والمكان؛ لتقويم أهمية المصادر ودرجة فائدتها، فالزمان تتمظهر باستمرار لتدوين الرِّحَالَة وتطوُّراتها، وملازمٌ لها دائماً، وهو انعكاسٌ مزمٌ لكلِّ فعاليتها وانطباعاتها شبه اليومية، فيما المكان - أيضاً - متجسِّد بشرطه النموذجية الفاعلة المتمثلة بمركب قراءة الذات والآخر، فأغلب الموضوعات المنتخبة محكومة بشرط اكتشاف الذات وردم فجواتها والأماكن المجهولة فيها، والكشف عن مديات الفروقات الحسية والمكانية والمناخية فيها، وكلُّ ذلك عبر المقارنة والمقابلة مع الآخر»^(١).

وكان للرِّحَالَة التي قام بها المسلمون فائدةً كبيرةً؛ بها جاءت به من معارف

ومعلومات عن البلدان التي مرّوا بها، وأشهر تلك الرحلات، رحلة ابن بطّوطة، ورحلة ناصر خسرو، وغيرهما.

وفي العصر الحديث كان للرحالة الأجانب دورٌ مهمٌ بما كتبه من معلومات مفيدة جداً للباحثين المعاصرين، بما سطره عن رحلاتهم إلى المشرق الإسلامي في مدنه وأقاليمه، من الناحية العمرانية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، وهي - في قسمٍ مما أوردته من كتاباتها - جاءت لتسدّ النقص في المعلومات التي أوردتها الكتابات والمصادر التاريخية الأخر، والمهمّ ذكره: أن الرحالة الأوربيين اعتادوا أن يأتوا إلى بلاد المشرق الإسلامي بأفكارهم المسبقة وتحفظاتهم، وغالباً ما كانوا يكرّرون كتابات بعضهم البعض، ولا بدّ من إخضاع هذا النوع من المصادر للنقد التاريخي، أي: يجب أن يؤخذ ما كتبه بحذر، وأن يتمّ مقارنته بالمصادر التاريخية التي تزامنت مع تلك الرحلات.

ويهدف هذا البحث إلى معرفة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لمدينة البصرة في كتب الرحالة، التي استطاع الباحث الحصول عليها، وتكاد تلك الرحلات في القرن السادس عشر الميلادي تكون قليلة - بحسب علم الباحث - قياساً بالرحلات في القرون التي تلتها، وربّما يكون السبب في ذلك أنّها كانت الرائدة في هذا المجال، وأنّ أهدافها كانت محدودة.

وقد تناول البحث رحلات كلٍّ من: سيدي علي ريس، ليونهارتراوولف، رالف فتش، كاسباروبالبي، سيزار فدريجي، جون نيوبري، جون إيلدرد، وهذه الرحلات، هي المعروفة من كتب الرحالة الأجانب عن ذلك القرن - على حدّ علم الباحث - وربّما تظهر رحلاتٌ أخر في المستقبل.

ولقد قُسمَ البحث على ثلاثة محاور، الأول: الإجابة عن التساؤل عن أهداف تلك الرّحلات وغاياتها التي قام بها أصحابها إلى مناطق المشرق الإسلاميّ بشكلٍ عامٍّ والعراق بشكلٍ خاصٍّ، والثاني: تناول رؤية أولئك الرّحالة للأوضاع الاجتماعيّة في البصرة في ذلك القرن، والأمر الأخير هو: عرض رؤيتهم ومشاهداتهم للنشاط الاقتصاديّ في البصرة في تلك المدّة.

اعتمد الباحث على كُتب الرّحالة المتوافرة، وقسم منها تُرجم إلى العربية في سنة (٢٠١٣-٢٠١٤م)، ومنها كتاب «رحلات بين العراق وبلاد الشام خلال القرن السادس عشر، ترجمة وتعليق الدكتور أنيس عبد الخالق محمود، التي جمع فيها ستّ رحلات، كان عنوان الأخيرة «العراق في رحلة الإخوة شيرلي»، وهم السّير توماس، والسّير أنتوني، والسّير روبرت شيرلي، سنة (١٥٩٨م)، ولم أجد في الأخيرة شيئاً يخصّ البصرة.

والجدير بالذكر أنّ البحوث السابقة عن الرّحالة إلى البصرة، لم تُكتب عنها إلا معلومات مختصرة جدّاً، في القرن السادس عشر، بل إنّ بعض الباحثين أكّد أنّها لا تذكر شيئاً ذا أهميّة عن مدينة البصرة، ولا عن الطرق التجاريّة منها^(٢)، ولم يتطرّق حتّى إلى تلك المعلومات القليلة.

ولابدّ من القول: إنّ معظم تلك الرّحلات تناولت الأحوال الاقتصاديّة في البصرة بشكل معلومات قليلة، والأحوال الاجتماعيّة بشكلٍ أقلّ، وربّما كان ذلك بسبب مرورهم السريع على البصرة، أو عدم دخول البعض مركز المدينة، أو الاكتفاء بالسؤال من ملاحى السفن عنها، فضلاً عن ذلك فقد اعتمد الباحث على بحوث منشورة عن الرّحلات لإغناء البحث، ولا يدّعي الباحث

أن هذه الرحلات السبع هي وحدها التي تناولت الموضوع، فربما يتم العثور على كتب رحالة آخرين كتبوا عن البصرة في ذلك القرن نستطيع الاستفادة منها في كتابة بحوث قادمة.

أهداف الرحلات وغاياتها

كانت الحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢٩١م) أول احتكاك بين الحضارتين الغربية والإسلامية، أو أول محاولة أوروبية لاستعمار الشرق على نطاق واسع، ثم جاءت الثورة الصناعية - بعد ذلك - بمنتجاتها المختلفة، التي تحتاج إلى أسواق خارجية ومواد أولية، جعلتها تُجند كل ما تيسر عندها من إمكانات لتحقيق ذلك، فكان إرسال مبعوثيها وسفاراتها وقناصلها لمعرفة كل ما يوجد فيها، وبرزت ظاهرة ملفتة للعيان، هي تزايد أعداد الرحالة والسياح إلى بلدان المشرق الإسلامي بعد غزو نابليون بونابرت إلى مصر سنة (١٧٩٨م)^(٣)، ويمكن القول: إن ذلك يرجع إلى وجود التنافس الفرنسي -البريطاني في الحصول على المستعمرات، أو سعي الفرنسيين للبحث عن طريق تجاري بعد استيلاء البريطانيين على طريق رأس الرجاء الصالح، وتضييقهم على السفن الفرنسية للإبحار فيه.

كانت بداية تلك الرحلات في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وما بعده، وقد عكست الاهتمام المتزايد بالشرق من قبل القوى الأوروبية، التي عاشت بوادر الصراع الأولى - مطلع القرن السابع عشر - من أجل السيطرة والتوسع فيما وراء البحار، وقد بدأتها أسبانيا والبرتغال وهولندا؛ كونها قوى

بحريّة استطاعت الوصول إلى تلك المناطق من العالم، وكانت أهداف تلك الرّحلات هي تهيئة معلومات مهمّة وقيمة لحكوماتهم وبلدانهم عن تلك المناطق والبلدان التي زاروها لأغراضٍ تجاريّة واستعماريّة، ولم يُخفِ أولئك الرّحالة تلك الأهداف، فقد ذكروها إمّا في مقدّمة ما كتبه عن رحلاتهم أو في طواياها^(٤).

استقطب العراق العديد من الرّحالة؛ كونه موطن أولى الحضارات البشريّة؛ لذا زار بعض الرّحالة تلك الآثار، ودوّنوا بعض الرّسوم عنها، ما فسح المجال لاحقاً لاستقدام البعثات التنقيبيّة لأكثر من مكان، والتنافس بينها، فضلاً عن «موقعه الاستراتيجي، وأهمّيته التجاريّة والاقتصاديّة، وتوجّهت إليه الأنظار أكثر بعد ذلك؛ لاستكشاف نهر الفرات، ومعرفة صلاحيّته للملاحة من أجل الوصول إلى الهند، أمّا البصرة، فقد احتلّت مكانة بارزة في معظم كتابات الرّحالة الذين زاروا العراق؛ وذلك لأهمّيّتها التجاريّة منذ العهد الإسلاميّ وحتى العصر الحديث، كونها الميناء الوحيد للعراق، فضلاً عن شهرتها التاريخيّة وموقعها الاستراتيجي المهم»^(٥).

ويُمكن تبيان أهمّ الغايات والأهداف لتلك الرّحلات التي قام بها الرّحالة - بحسب ما ارتأوه لأنفسهم - فقسم منهم اندفع في رحلاته من أجل استكشاف الشرق، بما سمعوه أو قرأوه من كتاب الغرب ومفكرّهم عن سحر الشرق، فكانت العين الاستكشافيّة هي التي تحركهم، وهناك العين الدينيّة التبشيريّة، للوقوف بوجه المدّ الإسلاميّ في العصور الوسطى، من قبل رجال الدّين المسيحي، الذين أصبح الإسلام عندهم يمثّل «تحدّيّاً خطيراً عليهم، عقائديّاً وفكريّاً وسياسيّاً»^(٦).

والجدير بالذكر أن ظهور البعثات التبشيرية في العراق بدأت في أوائل القرن السابع عشر، وكانت البصرة أول مدن العراق التي وصلها النشاط التبشيري من خلال الإرساليات (missions)، التي جاء بها البرتغاليون إليها بعد سقوط جزيرة هرمز في سنة (١٦٢٢م)^(٧) بيد الفرس في عهد الشاه عباس الأول، وبالتعاون مع البريطانيين، لطرد البرتغاليين منها، وتوالى قدوم تلك الإرساليات إلى مختلف المدن العراقية تحت أكثر من مسمى، فكان منهم الأغسطينيون والكرمليون والكبوشيون، وقد حصلت هذه الفرق على احترام العراقيين^(٨)، فضلاً عن ذلك يمكن القول: إن بعض المتدينين جاءوا لتأدية مناسك الحج في بيت المقدس، ودوّنوا ما شاهدوه في طريقهم، والبعض الآخر تنكّر بزّي عربيّ واندسّ مع المسافرين ليشهد ما يقوم به المسلمون من طقوس ومراسيم لتأدية الحج في الكعبة المشرفة^(٩).

يصحّ القول: إن العين الاستعمارية والاستخباريّة (التجسس) هي الأكثر أهميّة في تلك الرحلات؛ إذ إن أصحابها كلفوا بتهيئة الأجواء عند الناس للترحيب بدولهم من جهة، وتقديم التقارير لخدمة بلادهم، أو الجهة التي أرسلتهم، وبدورها قامت حكوماتهم بدعم أولئك الرحّالة، مادياً ومعنوياً؛ لكون جهودهم تعود بمكاسب علميّة وسياسيّة واقتصاديّة لصالح تلك الحكومات، ولتسهيل عمليّة سيطرتها على تلك المناطق والدول لتحقيق الأهداف الاستعماريّة^(١٠).

ومن الأمثلة على تحقيق الدافع الاستعماري، ما قام به جون جوردن لوريمر في كتابه دليل الخليج الفارسي من معلومات مهمّة عن المنطقة، أي الدولة العثمانيّة

والدولة الفارسيّة، وإمارات الخليج العربي، منذ القرن السادس عشر وحتى بدايات القرن العشرين، ليكون دليلاً لموظفي الحكومة البريطانيّة ودبلوماسيّها العاملين في المنطقة، وقد أصدر اللورد (كيرزون) أوامره بجمع الدليل، وكُلف (لوريمر) بالإشراف على ذلك، وكان (لوريمر) قد عمل موظّفاً في قسم الخدمات المدنيّة التابعة لحكومة الهند، التي تُشرف على المصالح البريطانيّة في الخليج العربي، من خلال شركة الهند الشرقيّة البريطانيّة^(١١).

ولا يمكن إغفال المغامرة في بلاد أرض الله الواسعة، وممارسة العمل التجاري الفردي، أو الهواية الشخصيّة لمعرفة ما يوجد في تلك البلدان، أو قيام بعض المؤسّسات العلميّة بإرسال بعض الشخصيّات للبحث عن المخطوطات والنقوش الأثريّة، للإفادة منها في البحوث الاستشراقيّة.

الأحوال الاجتماعيّة في البصرة في القرن السادس عشر

لأبدّ من القول: إنّ الرخالة الذين مرّوا بالبصرة في هذا القرن لم يكتبوا عن الأحوال الاجتماعيّة إلّا النزر القليل، والأكثر منه قليلاً عن الأحوال الاقتصاديّة، وربّما يرجع ذلك إلى اهتمامهم بمدينة بغداد، كونها - بحسب تصوّرهم - هي مدينة بابل الأثريّة، وما البصرة إلّا نقطة عبور في رحلتهم البحريّة من الخليج العربي إلى بغداد وشمال العراق، وبعدها إلى طرابلس في بلاد الشام، إلى بلدانهم عبر البحر المتوسط.

تُعَدُّ رحلة الأدميرال التركي (سيدي علي ريس)^(١٢) إلى العراق في سنة (١٥٥٤م) أقدم الرحلات - على حدّ علمنا - فقد وصل البصرة بداية شهر

شباط من السنة نفسها للقيام بإصلاح السفن الموجودة فيها، وتجهيزها بالمدافع، وصرح بأن أمامه خمسة أشهر لإكمال مهمته ومغادرتها، ويبدو أن انشغاله بالمهمة المكلف بها جعله لا يختلط بالأهالي في المدينة، عدا زيارته للأضرحة وقبور الصحابة المدفونين في البصرة القديمة^(١٣)، فذكر أنه زار مسجد (جامع) علي، ويقصد به جامع الإمام علي عليه السلام الذي ذكره الرحالة ابن بطوطة - قبله - وسماه جامع أمير المؤمنين علي عليه السلام^(١٤)، وأضرحة الحسن البصري وطلحة والزبير وأنس بن مالك وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم^(١٥).

وتعدُّ رحلة الهولندي (ليندتراوولف Leendertrouwolf)^(١٦) إلى المشرق من الرحلات التي زارت العراق في سنة (١٥٧٣م)، واهتمت بدراسة النباتات الطبيّة، ويبدو أنه لم يزر مدينة البصرة، بل دوّن معلومات تجارية عنها بشكل مختصر جداً، عندما كان في بغداد^(١٧).

وفي سنة (١٥٦٣م) وصل الرحالة الإيطالي (سيزار فدريجي)^(١٨) Cesar Federici البصرة، وأعطاه ثلاث تسميات، هي: (باصوره، بوضوره، بصرا)، وحدد موقعها على خطّ عرض (٣٠) درجة، و(٢٠) دقيقة شمالاً، و(٤٧) درجة، و(٤٠) دقيقة شرقاً على الجانب العربي في التقاء نهري دجلة والفرات، وسمّى العرب الذين يحكمونها (زيزاريج)^(١٩)، وأنهم يحكمون مساحة واسعة من هذه المنطقة، ولا يستطيع الأتراك (العثمانيون) السيطرة عليهم؛ لأنّ البحر (ويقصد مياه الأهوار المترامية) يُقسّم المنطقة إلى عدّة جزر، تتخلّلها الكثير من القنوات؛ لذا يعجز العثمانيون عن توجيه أيّ قوّة ضدها، سواء أكان ذلك في البرّ أم البحر، فضلاً عن شجاعة سكّانها، وتمرّسهم في القتال، إلّا أنّ العثمانيين يحتفظون بقوّة

كبيرة خارج الأهوار، وربما كانت في القرنه (٢٠).

بدأ الرحالة الإيطالي (كاسبارو بالبي^(٢١)) عند وصوله البصرة سنة (١٥٨٠م) بالكلام عن سكان الجزائر - الذين يسميهم الجزيريون - ووصفهم بأنهم رجال قتال؛ لذا يتوجب على الأتراك (العثمانيين) إبقاء حامية كبيرة تكلفهم نفقات كبيرة، ووصف لنا مشكلة الماء في مركز البصرة، وأن أهلها يشكون من شحة المياه العذبة، ومن يرد أن يشرب الماء العذب فعليه أن يذهب مسافة نصف نهار ليحصل عليه، والأشخاص الذين يشربون من النهر (نهر العشار) يُصابون بالأمراض لعدم نظافته^(٢٢)، ومن المعلوم أن مركز المدينة يقع في محلة حوش الباشا، ومحلة السيمر، والمشراق، وكلها تقع على نهر العشار - الذي يتفرع من نهر شط العرب - ومن ثم فإن معظم مياه المدينة الثقيلة ترمى فيه، ما يجعله غير صالح للشرب.

وذكر (بالبي) القبائل التي تعيش في المنطقة التابعة للعمارة، وهي سنجق (لواء) تابع إلى ولاية البصرة، وأن سكنهم في خيام، ولعله يقصد بهم قبائل البو محمد وبني لام، ويوجد في هذا المكان ضريح لأحد الأولياء^(٢٣)، والأرجح أن يكون ضريح السيد علي الشرقي.

وشاهد في مياه تلك المناطق أعداداً كبيرة من طيور النورس والبلقشة^(٢٤) والسمان^(٢٥)، وشاهد الأهالي وهم يصطادون الأسماك، عن طريق قصبه محدّدة الرأس لا غير^(٢٦) - كما وصفها - ولم يكن وصفه دقيقاً؛ لأنه في نهاية القصبه تُثبت قطعة من الحديد ذات رؤوس ثلاثة كالسهم، أطولها الأوسط، وتسمى (الفالة)^(٢٧)، ولاحظ (بالبي) أن الأهالي في هذه المنطقة يعيشون حياةً وصفها بالهائنة،

ويعلّل ذلك بوجود الحنطة عندهم بكثرة، وأنّ فيها بناءً للدور السكنية^(٢٨). وفي نهاية الرحلة غادر البصرة في الحادي والعشرين من شهر نيسان (١٥٨٠م)، وركب سفينة من نهر العشار متّجهاً إلى نهر دجلة الكبير - ويقصد به نهر شطّ العرب، الذي لم يكن يُسمّى بهذا الاسم لحدّ الآن في كتب الرحالة - نحو الجنوب، وذكر لنا مشاهدته ضريح أحد الأولياء^(٢٩) على ضفّته التي لم يحدّها، وهي بالتأكيد الشرقية، في منطقة عبّادان^(٣٠) - وأنّ سدنة الضريح يطلبون تبرّعات من التّجار، فيتصدّقون بأموال الآخرين على الضريح المذكور^(٣١).

وكتب الرحالة الإنجليزي (رالف فتش Ralph Fitch)^(٣٢) في مذكراته سنة (١٥٨٣م)، أنّ البصرة كان يحكمها الأعراب قبل أن يدخلها العثمانيون سنة (١٥٤٦م)، ولم يذكر لنا طبيعة حكومتهم هذه، وأين مركزها؟، ويتابع وصف حياتهم بأنّهم سكنوا في جزر معيّنة في نهر الفرات لا يستطيع العثمانيون الدخول إليها، وليس لهم مساكن ثابتة، وإنّما يتنقلون من مكانٍ إلى آخر مع إبلهم، وماعزهم، وخيولهم، وزوجاتهم، وأطفالهم، وكلّ حاجياتهم، ويرتدون ملابس ألوانها زرقاء فضفاضة، وتترزين زوجاتهم بأقراطٍ من النحاس والفضّة في آذانهنّ وأنوفهنّ، كما يلبسن أساور من نحاسٍ حول أرجلهن^(٣٣)، وهذا الوصف لا ينطبق على حكومة البصرة -آنذاك-^(٣٤)، بل ينطبق على إمارة آل عليّان^(٣٥) في منطقة الجزائر^(٣٦).

وفي سنة (١٥٨٣م) زارها الرحالة (جون نيوبيري John Newbery)^(٣٧)؛ ولذا جاء وصفه مشاهياً لما أورده (فتش) عن الأهالي وملابسهم وعاداتهم ومساكنهم^(٣٨).

أمَّا الرَّحَّالَة (جون الدررد John Eldred)^(٣٩) فقد وصل البصرة في سنة (١٥٨٣م)، وشرع في قياس محيط مركز البصرة (ميلاً ونصف الميل بالقياس الإنكليزي)، وكتبَ بأنَّ كُلَّ البيوت والقلاع والأسوار مبنية من الآجر المجفَّف في الشمس (اللين)، وذكر كذلك أنَّه توجد في المدينة حامية عسكريَّة عثمانية مكوَّنة من (٥٠٠) إنكشاري وجنود آخرين، ولكنَّ قوَّة المدينة تتمثَّل في سفنها الشراعية الكبيرة ذات المجاديف و المدافع الضخمة، التي تُسمَّى (قوادس)، وعددها ما بين (٢٥) إلى (٣٠) سفينة^(٤٠).

الأحوال الاقتصادية في البصرة في القرن السادس عشر

إنَّ المعلومات التي أوردها الرَّحَّالَة في هذا المجال قليلة، ولعلَّ السبب يرجع إلى عدم مكث بعضهم في مركز الولاية مدَّةً مناسبة تُتيح لهم معرفة ما يحدث من نشاطٍ اقتصاديٍّ في الولاية، وبعضهم بقي عدَّة أشهر في البصرة، ولكنَّ انشغاله بقضايا خاصَّة لم يُتيح له المجال لاستطلاع المعلومات عنها، أو أنَّ البعض الآخر لم يدخل إلى مركز الولاية أصلاً بل كان ماراً في رحلته في نهر دجلة أو الفرات، وبعدها دخل إلى شطِّ العرب باتجاه رحلته إلى الخليج.

فعلى سبيل المثال: لم يُدوِّن لنا (سيدي علي ريس) معلومات اقتصادية تذكر، بل انشغل في إصلاح السفن الموجودة في ميناء البصرة، في إطار مهمَّته التي كُلف بها من قبل السلطان، وكذلك فعل الرَّحَّالَة (ليونهارتراوولف)، الذي كان مهتماً بالبحث عن الأعشاب، أمَّا الرَّحَّالَة فدريجي فحدَّد بعدها عن الخليج بخمسين ميلاً، ووصفها بأنَّها مركز تجاريٍّ عظيم، وتُجلب التوابل والعقاقير إليها من

هرمز)، وتتوفر فيها الذرة والرُّز والتمور، التي تُجلب إليها من المنطقة المحيطة بها، ثمَّ وصف السفن الصغيرة التي تنقل المسافرين إلى (هرمز) بأنَّها خطيرة جداً وغير آمنة^(٤١).

تُعدُّ رحلة (كاسبارو بالبي) أفضل الرِّحلات في معلوماتها عن البصرة في القرن السادس عشر، فقد وصل إليها في سنة (١٥٨٠م)، عن طريق نهر دجلة، وعند وصوله العِجارة - لواء تابع لولاية البصرة - ذكر بأنَّه تمَّ أخذ ثلاث دوكات^(٤٢) عن كلِّ سفينةٍ تمرُّ من هناك^(٤٣)، وفي تلك المناطق التابعة لها يوجد الكثير من الأعراب - على حدِّ قوله - أي: رجال القبائل، الذين يعيشون على رعي قطعان الماشية، من ثيران وخراف وماعز وسائر الحيوانات الأليفة، كما توجد الكثير من الخيول بالقرب من القرنة^(٤٤).

وفي النشاط الزراعيِّ لاحظ أنَّ السكَّان يزرعون كمِّيات كبيرة من الرُّز في القرنة وحتىَّ حدود مركز مدينة البصرة^(٤٥)، أي حتىَّ ناحية المهارثة وكرمة علي، وعند وصول سفينة (بالبي) إلى (المنأوي) - ميناء البصرة آنذاك - الذي يصفه بالحِصن، فإنَّه شاهد المسؤولين وهم يستوفون ضريبةً من تجَّار العبيد^(٤٦)، الذين يُجلبون من إفريقية.

وصف (بالبي) البصرة بأنَّها مدينةٌ واسعةٌ التجارة بالتوابل والعقاقير ومختلف السلع الأخر، التي تردها عن طريق (هرمز)، وأنَّ إنتاجها جيِّد من الرُّز والقمح والتمور، وحدَّد لنا نسبة رسوم المكس (كمارك) ب(٦٪) سواء أكانت عند الدخول أم المغادرة، ويبيِّن أسلوب المسؤولين السَّييء في تلك المراكز، عندما يُقدِّرون البضاعة أحياناً بأكثر من قيمتها، أو يفتحون الحزم ويقلبون البضائع،

وينتزعون بعض ما يرغبون به من البضائع عنوةً، ثم يقترح لمعالجة هذه الحالة أن يُعطى المسؤول مقداراً مُعيَّناً من المال، وكذلك إعطاء هديَّة للوالي، لكي تسير أمورهم على ما يرام، ووصف معاملتهم في البصرة بالخشنة^(٤٧)، وكان يقصد بذلك أتباع الوالي ومسؤولي الضرائب؛ لأنَّه لم يدخل إلى مركز الولاية بل مرَّ على مراكز الكمارك في القرنة والمناوي.

ويذكر لنا (بالبي) أن ميناء المدينة يكتظُّ بالتجار، ومنهم تجار هنود من طائفة البانيان (طائفة هندوسية مارست التجارة في البصرة، وفي القرن السابع عشر انتقلت إلى عدن، وإلى شرق إفريقية أيضاً، وما زالت فيه لحدِّ اليوم)، إذ وَصَفَ ملابسهم وأحوالهم، وذكر أنَّهم لا يأكلون لحوم الحيوانات من أيِّ نوعٍ^(٤٨)، ويبيِّن لنا وسيلة الاتصال بين التجار في البصرة وبين زملائهم في بغداد حول أسعار السِّلَع عن طريق الحمام الزاجل^(٤٩)، ونبَّه (بالبي) الآخرين قبل المغادرة من البصرة إلى ضرورة مطالبة مسؤول الكمرك - الذي يُسمَّيه الأمين - بقائمةٍ مُفصَّلةٍ مُذيلَّةٍ بختمه، فيها تسجيل تفاصيل البضاعة جميعاً، وقبل مغادرة السفينة يحضر المسؤول بنفسه للتدقيق، حتَّى لا يُعطي المجال لانتزاع الأتاوة في حالة العودة إلى المدينة مع بضائعٍ أُخرى، أو أن يصبح التاجر ضحيَّةً مكيدة^(٥٠).

أخيراً أبحر (بالبي) من البصرة إلى (هرمز)، وذكر أنَّ الوالي حدَّرنا من السَّفَر في تلك الأيام؛ لوجود القراصنة في تلك المدَّة^(٥١)، ومن الجدير بالذكر أنَّ السُّلطة العثمانية كانت في حالةٍ ضعيفٍ لا يُجسد عليها.

عندما زار (بالبي) البصرة تطرَّق للأوزان والمقاييس والنقود والضرائب فيها، فذكر أنَّ القنطار يساوي (٢٠) مناً، يتمُّ بحساب الدُّراع، وهو أطولُّ من

الذراع في حلب، أما النقود المتداولة، فهي الاستيني، وهو نقد فارسي، وكل (١٢) أستينياً يساوي مؤيداً واحداً (نقد فضي يحمل نقشاً تركيا)، وكل شاهية زائداً (٢٠) أستينياً تساوي لارينا (عملة فضية بشكل طويل غير منتظم)^(٥٢).

كتب الرحالة (الف فتش) وصفاً موجزاً جداً للبصرة، وأنها تحوي كميات كبيرة من القمح والأرز والتمور، التي تزرع حولها، وتصدر إلى بغداد وسائر أنحاء البلاد، وهي مدينة ذات تجارة واسعة في التوابل والمخدرات التي تجلب من (هرمز)، وبما أن معظم السكان يعيشون على حافات نهر دجلة والفرات في التقائهما في القرنة، فإنهم يفرضون - مثل باقي القبائل القريبة من النهرين - إتاوات^(٥٣) على السفن التي تمر بالقرب منهم؛ لذا فإنه كان قاسياً في وصفه لهم بأنهم جميعاً لصوص^(٥٤).

ووصف (نيوبري) البصرة اقتصادياً «بأنها مدينة عظيمة، فيها فائض كبير من الحنطة والرُّز والتمور، تُصدَّر إلى بغداد [التي يُسمِّيها بابل] وكل المناطق المحيطة بها وهرمز، فضلاً عن بعض مناطق الهند، وتزدهر فيها تجارة التوابل والعقاقير»^(٥٥).

أما الرحالة (إيلدرد)، الذي تزامنت رحلته مع الرحالة (نيوبري)، فإنه كرر ما قاله الرحالة الذين سبقوه بوجود قلعة للأتراك يدفع التجار فيها ضريبة بسيطة - لم يحدد مقدارها - وتنبه إلى ظاهرة المد والجزر التي تصل حتى القرنة، التي تؤدي إلى منطقة خصبة جداً، تُزرع فيها الذرة والرُّز والقمح والتمور^(٥٦)، ووصف لنا النشاط التجاري بدخول سفن تجارية كثيرة شهرياً - لم يحدد عددها - إلى ميناء البصرة قادمة من (هرمز)، محملة بجميع أنواع السلع الهندية، مثل: التوابل والعقاقير والملابس المصنوعة في الهند، وفي كلكتا، وتكون حمولة هذه

السُّفن ما بين أربعين إلى ستين طناً^(٥٧)، وفي نهاية رحلته إلى البصرة، ركب سفينةً مع مجموعةٍ من السفن، أحصى عددها إلى سبعين، كلُّها محمَّلة بالسِّلَع التجاريَّة، متَّجهة نحو بغداد، واستغرقت الرحلة (٤٤) يوماً^(٥٨).

الخاتمة

تُعدُّ الرِّحلات من المصادر المهمّة لبيان بعض الأمور التي أغفلتها، أو لم تستطع تبيانها المصادر التاريخية الأخرى، وبالرُّغم من أنّها تحمل أفكار أولئك الرِّحالة المسبقة وتحفّظاتهم على ما يشاهدون، إلّا إنّ النقد التاريخي يستطيع كشف تلك الملابس.

وقد اعتمد البحث على رؤية سبع رَحَّالة زاروا البصرة وكتبوا عنها، وكانت غاياتهم مع الرَحَّالة الآخرين متعدّدة، منها: ما كان يحمل الغايات التبشيرية (الدينية) أو الاستعمارية أو الاستكشافية، أو حتى المغامرة أو الهواية الشخصية. وركّز البحث على معرفة مشاهدات الرَحَّالة للأحوال الاجتماعية والاقتصادية، والأولى كانت المعلومات عنها قليلة وأحياناً متشابهة، أمّا الثانية، فهي أكثر وأوضح، وركّزت على أهميّة مدينة البصرة تجارياً، بل عدّوها من المدن التجارية المهمّة في المنطقة، وأنّها تحوي أجناساً تجارية مختلفة، وتستخدم طبقة من التجار وسائل الاتصال السريع مع زملائهم في بغداد - عن طريق الحمام الزاجل لإخبارهم بتقلّب أسعار السلع أحياناً.

وجميع الرَحَّالة أجمعوا على دور البصرة في نقل التوابل والعقاقير التي تأتي من الهند إلى حلب، والمتاجرة - أيضاً - بالسلع المحليّة كالتنمور والحنطة والرُّز،

وحمولة تلك السفن، والضريبة التي تؤخذ عليها.
و بالإجمال: فإنّ تلك المعلومات تحتاج إلى توضيح أكثر من المصادر التاريخية
الأخرى في ذلك الزمان.

الهوامش

- ١- من مقدّمة نصير الكعبي، لرحلة لياندر الكرملي، ترجمة: بطرس حدّاد: ص ٥.
- ٢- يُنظر: فلاح حسن عبد الحسين، بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة، كما أوردتها الرحالة الأوروبيون في العصر الحديث، مجلّة المورد، مجلد ١٨، العدد ٤، سنة ١٩٨٩م: ص ٧.
- ٣- يُنظر: من مقدّمة سامي الألوسي لرحلة كارستن نيبور إلى العراق، ترجمة: محمود حسين الأمين: ص ٥-٦.
- ٤- يُنظر: فلاح حسن عبد الحسين، المصدر السابق: ص ٧.
- ٥- حيدر صبري شاکر الخيقاني، كتابة الرحالة الأوروبيون إحدى المصادر المهمّة في تدوين أخبار البصرة، مجلّة آداب البصرة، العدد (٦٣)، سنة ٢٠١٢م: ص ٧٦٣-٧٦٦.
- ٦- من مقدّمة رحلة لياندر الكرملي، معرفة الشرق في العصر العثماني (الرحلة الإيطالية إلى العراق) ترجمة: الأب بطرس حدّاد: ص ٥-٦.
- ٧- يُنظر: لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي: ج ١، ص ٦٦؛ or.wikipedia.org.
- ٨- يُنظر: سلامة حسين كاظم، التبشير في العراق، رسائله وأهدافه، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة الشريعة، جامعة بغداد، ١٩٨٥م: ص ٩٣، ١٧٨.
- ٩- يُنظر: رحلة جوزيف بتس، ترجمة ودراسة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة، ١٩٩٥م: ص ٤٠-٦٨.
- ١٠- يُنظر: الخيقاني، المصدر السابق: ص ٧٦٣، ٧٦٤، وليلى ياسين حسين، البصرة في رسائل وتقارير المسلين الأمريكيان، مجلّة آداب البصرة، العدد (٦٣)، مجلد ٢، ٢٠١٢م: ص ٦٤٩.
- ١١- يُنظر: طيبة خلف عبد الله، البصرة وعلاقتها بالقوى الإقليمية، من خلال كتاب دليل الخليج لجون جوردن لوريمر، مجلّة آداب البصرة، العدد ٦٣، مجلد ٢، لسنة ٢٠١٢م:

ص ٦٨٨. والجدير بالذكر أن كتاب دليل الخليج صدر باللُّغة الإنكليزيَّة في سنة ١٩١٥م باسم *Gazetter of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia*، وطبع في مدينة كلكتَّا بالهند بشكل محدود التداول، ووضع تحت تصنيف سرِّي وللعمل الرِّسمي، وظلَّ سرِّيًّا حتَّى سنة ١٩١٧م، حينما نُشر لأول مرَّة، وفي قطر صدرت منه طبعتان بالعربيَّة، الأولى سنة ١٩٦٧م، والثانية سنة ١٩٧٦م، في سبعة أجزاء للقسم التاريخيِّ، وسبعة أجزاء للقسم الجغرافي. يُنظر: www.ibtesamh.com

١٢- سيدي علي ريس: بحار (أميرال)، وإداري وكاتب وشاعر تركي، كانت رحلته خلال النصف الثاني من القرن السَّادس عشر، أوَّل الرِّحلات التي شهدتها العراق، وكان الهدف منها نقل قطع الأسطول العثماني المرابط في البصرة إلى ميناء السويس بمصر، إلا أنَّه دوَّن معلومات مفيدة عن العراق من الموصل وحتى البصرة، فضلاً عن مشاهداته في الهند وأفغانستان وآسيا الوسطى وبلاد فارس في كتابه (مرآة الممالك)، يُنظر: رحلات بين العراق وبادية الشام خلال القرن السَّادس عشر، ترجمة أنيس عبد الخالق محمود، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣م. للمزيد من التفاصيل عن ترجمته، يُنظر: ص ١٥-١٦.

١٣- يُنظر: رحلات بين العراق وبادية الشام: ص ٣٨-٣٩.

١٤- يُنظر: رحلة ابن بطوطة: ص ٢٠٧.

١٥- يُنظر: رحلات بين العراق وبادية الشَّام: ص ٣٥.

١٦- ليونهارتراوولف: رَحَّالة أصله هولندي، كتب رحلته باللُّغة الهولنديَّة، اكتسب الجنسيَّة الألمانيَّة، بدأ رحلته بحراً من فرنسا إلى طرابلس في لبنان، انتقل بعدها إلى دمشق وحلب، ومن هناك توجَّه إلى العراق بطريق نهر الفرات، وبعدها عاد إلى حلب وطرابلس، وتوجَّه منها إلى البندقيَّة، ونرى في كتاباته التعصُّب لعقيدته الدينيَّة والقوميَّة، وكانت الغاية من رحلته جمع النباتات والأعشاب الطيِّبة التي تنمو في بلدان الشرق، إلا إنَّ ما كتبه عن النباتات تجاوزه إلى بعض المعلومات التاريخيَّة والجغرافيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، وكتب معلومات لا يُستهان بها عن العراق وبعض البلدان العربيَّة. يُنظر: مقدِّمة المترجم سليم طه التكريتي عن رحلة المشرق إلى العراق وسورية وفلسطين سنة ١٥٧٣م، بغداد، ١٩٧٨م: ص ٥-٨.

١٧- يُنظر: ليندرا تراوولف، رحلة المشرق: ص ١٧٦.

١٨- سيزار فدريجي: رحالة إيطالي كان يتاجر بالأحجار الكريمة والجواهر، وصل البصرة من مدينة حلب في سنة ١٥٦٣ م، ثم أبحر منها إلى هرمز والهند، اهتم بوصف الطرق التجارية ومنتجات الشرق في رحلته. للمزيد من التفاصيل، يُنظر مقدمة المترجم في (رحلات بين العراق): ص ٥٣ - ٦٢.

١٩- من المعلوم أنّ هذه العشيرة (الإزيرج) لم تظهر إلا في نهاية القرن التاسع عشر في العمارة، ولعلّ الرحالة لم يعرف لفظها فكتبها بصيغة (زيراريج) zizari، وهي غير صحيحة. ٢٠- يُنظر: رحلات بين العراق وبادية الشام: ص ٧٤.

٢١- كاسباروبالبي: تاجر جواهر من البندقية في إيطاليا، قدم إلى العراق في الربع الأخير من القرن السادس عشر، أعطى في رحلته معلومات تاريخية وجغرافية تخص العراق أكثر من غيره من الرحالة في القرن السادس عشر. ينظر: مقدمة المترجم لرحلة كاسبروبالبي سنة ١٥٧٩ ترجمة: بطرس حدّاد: ص ٩-١٥.

٢٢- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١١٥.

٢٣- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٠٦.

٢٤- البلقشة: طائر من رتبة الطيور المائية، موطنه أمريكا الشمالية، وهو أصغر قليلاً من البطة البرية، إذ يبلغ طوله حدود (٦٠) سم، وله منقار أسطواني، والرأس أسود- أخضر، والصدر أسود مطوّق بالأبيض، والظهر أسود. <http://vb.elmstb.com/t323749.html>، ويسمى محلياً الخضيرى.

٢٥- السمان: طائر صغير فصيلته التدرّجية من رتبة الدجاجيات، وهي منتشرة في أوربا وآسيا وإفريقيا، وهو طائر مهاجر يمرّ بالوطن العربي، وبعض منه استوطن في الجزيرة العربية. <http://www.youtube.com/watch?v=03Egsgi-Rp4>، ويسمى محلياً دجاج ماء.

٢٦- يُنظر: رحلة كاسباروبالبي: ص ١١٣.



٢٧- وهذا الوصف ينطبق على آلة صيد السمك المسماة بـ (الفالة)، وهي آلة حديدية على شكل سهام صغيرة مثبتة على قطعة من الحديد، يكون السهم الوسطي سهماً طويلاً، والباقيات أقصر على الشكل الآتي:

٢٨- يُنظر: رحلة بالبي: ص ١١١.

٢٩- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٣٣. وهذا الوصف ينطبق على

ضريح الخضر في عبادان، وعلى مشهد للإمام علي عليه السلام في المكان نفسه. للمزيد من التفاصيل عن عبادان، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣/ ٢٩٠.

٣٠-عبادان: وهو مكان تقوم فيه جماعة للعبادة، وعبادان في جزيرة فيها مشاهد ورباطات، وأرضه سبخة، وماؤه مالح، فيه مشهد للإمام علي عليه السلام، ومشهد للخضر عليه السلام، وقد نُسب إلى عبادان جماعة من الزهاد والمحدثين. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣/ ٢٩٠.

٣١-يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٣٣.

٣٢- رالف فتش: Ralph Fitch رحالة وتاجر ونبيل إنجليزي، أصبح عند عودته من الأسفار مستشاراً رفيعاً لشركة الهند الشرقية البريطانية، بدأ رحلته على متن السفينة النمر، من لندن إلى طرابلس عبر وادي الرافدين فالخليج العربي إلى الهند بمهمة دبلوماسية إلى الإمبراطور المغولي على الهند وملك الصين آنذاك، والذي منح العراق من الرحلة هو من يره جك عبر الفرات وانتهاً بمضيق هرمز. يُنظر: مقدمة المترجم لكتاب رحلات بين العراق وبادية الشام: ص ١٥١-١٥٢.

٣٣-يُنظر: لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي: ج ٤، ص ٢٣٨٣؛ ورحلات بين العراق: ص ١٦٢.

٣٤- كانت البصرة آنذاك تحكمها قبيلة المتفق (إمارة آل مغامس). للمزيد من التفاصيل يُنظر: طارق نافع الحمداني، انتفاضات القوى العربية المحلية في البصرة والجزائر ضد التوسع العثماني خلال القرن السادس عشر، مجلة آفاق عربية، مجلد ٩، العدد ٨ سنة ١٩٨٤م: ص ٦٧.

٣٥- إمارة آل عليان: إمارة عربية لا نعرف عنها الكثير - ربما بسبب فقدان ما كتب عنها نتيجة حروبها المستمرة مع أعدائها - نشأت في منطقة الجزائر (أهوار القرنة والمدينة)، وترجع أصولها إلى قبيلة شمر الطائية، وتزعمت عشائر بني سعيد وبني مالك. ينظر: حسين علي عبيد المصطفى، البصرة في مطلع العهد العثماني ١٥٤٦-١٦٦٨م: ص ٦٩. وفي القرن التاسع قُسمت ولاية البصرة إلى أربعة ألوية (سناجق)، هي لواء البصرة (المركز)، ولواء الناصرية، ولواء العمارة، ولواء نجد. وقد كتب أحد الباحثين مؤخراً بحثاً عن المنطقة بعنوان (المدينة في القرن السادس عشر) إلا أنه لم يتطرق إلى الإمارة من حيث التأسيس، والتطور، والرؤساء

- لهذه الإمارة، وإن البحث قدّم إلى مركز تراث البصرة ليُنشر كتاباً.
- ٣٦- الجزائر: مناطق السكن وسط الأهواز، أمّا (الجوازر)، فتطلق على ما انحسر عنه المدّ والجزر، وأصبح جُزراً، ومنها على سبيل المثال: (بطيحة الغرّاف)، التي تسمّى بلاد الجوازر. يُنظر: العرب والعراق، علي الشرفي: ص ١٧١.
- ٣٧- جون نيوبيري: تاجر من لندن، بدأ برحلته من لندن إلى طرابلس في سورية، ومنها إلى القدس في رحلته الأولى ١٥٧٨م، وفي رحلته الثانية ١٥٨٣م سار من طرابلس عبر الفرات إلى مدينة هرمز، وأعطانا وصفاً موجزاً عن البصرة آنذاك. للمزيد من التفاصيل، يُنظر: رحلات بين العراق وبادية الشام: ص ٩٣-٩٨.
- ٣٨- يُنظر: رحلات بين العراق وبادية الشام: ص ١٠٩.
- ٣٩- جون الدرد: رحّالة إنجليزي غادر لندن في السفينة تاكر، وصل إلى طرابلس الشام، ومنها توجّه إلى حلب، وبعدها أبحر إلى نحو نهر الفرات حتى وصل البصرة في سنة ١٥٨٣م، وبقي فيها ستّة أشهر منشغلاً بتصريف بضاعته، وأخيراً عاد عن طريق النهر إلى حلب وطرابلس، ثمّ قرّر العودة إلى لندن. للمزيد من التفاصيل، يُنظر: رحلات بين العراق وبادية الشام: ص ١٢٣-١٢٦.
- ٤٠- يُنظر: رحلات إلى العراق وبادية الشام: ص ١٣٦.
- ٤١- يُنظر: المصدر نفسه: ص ٧٤-٧٥.
- ٤٢- دوكات أو الدوكة: نقد فرنسي يساوي (٩) شلنات من الذهب، شاع استعماله في جميع الأمم في أوربة في العصر الحديث، وفي الشرق أيضاً، وسمّي الدوكة أيضاً، ذكره القلقشندي. ينظر: عباس العزاوي، تأريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية ١٢٥٦هـ-١٩١٧م: ص ١٢٩.
- ٤٣- يُنظر: رحلة بالبي، المصدر السابق: ص ١٠٦.
- ٤٤- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١١١.
- ٤٥- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٢٥-١٢٦.
- ٤٦- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٣١.
- ٤٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٢٦.
- ٤٨- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١١٨.

- ٤٩- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٣١.
- ٥٠- إتاوات: جمع إتاوة، وتعني أخذ الأموال من الآخرين بوصفها ضرائب بحجة الحماية.
- ٥١- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٢٦.
- ٥٢- المصدر نفسه: ص ١٣٣.
- ٥٣- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٢١ - ١٢٥.
- ٥٤- يُنظر: رحلات بين العراق وبادية الشام: ص ١٦٢.
- ٥٥- المصدر نفسه: ص ١٠٩.
- ٥٦- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٣٥.
- ٥٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٣٦.
- ٥٨- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٣٧.

المصادر والمراجع

الكتب العربية والمعربة

- ١- حسين علي عبيد المصطفى، البصرة في مطلع العهد العثماني ١٥٤٦-١٦٦٨م، دمشق، ٢٠١٢م.
- ٢- الرحالة لينادرو الكرمل، معرفة الشرق في العصر العثماني، رحلة الإيطالي إلى العراق ترجمة: الأب الدكتور بطرس حدّاد.
- ٣- رحلة كارستن نيبور إلى العراق، ترجمة: محمود حسين الأمين، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ٤- رحلات بين العراق وبادية الشام خلال القرن السادس عشر، ترجمة: أنيس عبد الخالق محمود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣م.
- ٥- رحلة الإيطالي كاسباروبالبي سنة ١٥٧٩م، ترجم: الأب الدكتور بطرس حدّاد، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ٦- عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية ٦٥٦هـ - ١٩١٧م، شركة التجارة والطباعة، بغداد، ١٩٥٨.
- ٧- لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ١، ج ٢ ترجمة مكتب أمير قطر.
- ٨- ليندراوولف، رحلة المشرق إلى العراق وسورية وفلسطين سنة ١٥٧٣م، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٨م.
- ٩- محمد عبد الله اللواتي الطنجي، تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) تحقيق، علي المنتصر الكنائي، بيروت، ١٩٧٥م.
- ١٠- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.

البحوث والدراسات

- ١- حيدر صبري شاكر الخيكاوي، كتابة الرحالة الأوربيين إحدى المصادر المهمة في تدوين أخبار البصرة، مجلة آداب البصرة العدد (٦٣)، سنة ٢٠١٢ م.
- ٢- طارق نافع الحمداني، انتفاضات القوى العربية المحليّة في البصرة والجزائر ضدّ التوسع العثمانيّ، خلال القرن السادس عشر، مجلة آفاق عربيّة، مجلد (٩)، العدد (٨)، سنة ١٩٨٤ م.
- ٣- طيبة خلف عبد الله، البصرة وعلاقتها بالقوى الإقليمية من خلال كتاب دليل الخليج جوردن لوريمر، مجلة آداب البصرة، العدد (٦٣)، سنة ٢٠١٢ م.
- ٤- فلاح عبد الحسن، بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة كما أوردتها الرحالة الأوربيون في العصر الحديث، مجلة المورد، مجلد (١٨) العدد (٤)، سنة ١٩٨٩ م.
- ٥- ليل ياسين حسين، البصرة في رسائل وتقارير المرسلين الأمريكان، مجلة آداب البصرة.

الرسائل الجامعية

- سلامه حسين كاظم، التبشير في العراق، رسائله وأهدافه، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة بغداد، ١٩٨٥ م.

مصادر الإنترنت

Or.wikipedia.org

Vb.elmstb.com/t323749.html

http://www.youtube.com/watch?v=03Egsgi-Rp4